

أعضاء البيان

@ 158 @ أهلكنما قوم هود ، وجعلنما سبأ أحاديث ومزقناهم كل ممزق . قال كل ذلك بسبب تكذيب الرسل ، والكفر بما جاءوا به . وهذا هو معنى قوله : { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَنِحَوْلاً كُلَّ مَنَ الْفُورِ } كقوم صالح وقوم لوط وقوم هود وسبأ ، فاحذروا من تكذيب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . لئلا ننزل بكم مثل ما أنزلنا بهم . وهذا الوجه لا ينافي قوله بعده { أَفَهِمُّ الْغَالِبُونَ } والمعنى : أن الغلبة لحزب الله القادر على كل شيء ، الذي أهلك ما حولكم من القرى بسبب تكذيبهم رسلهم ، وأنتم لستم بأقوى منهم ، ولا أكثر أموالاً ولا أولاداً . كما قال تعالى : { أَهْمُّ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ } . وقال تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ رُضًا وَمَتْنًا أَغْنَى عَنْهُمْ مَصَافِيهِمْ وَهُمْ خَالِدِينَ } ، وقال تعالى : { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ رُضًا وَمَتْنًا أَغْنَى عَنْهُمْ مَصَافِيهِمْ وَهُمْ خَالِدِينَ } .

وإنذار الذين كذبوه صلى الله عليه وسلم بما وقع لمن كذب من قبله من الرسل كثير جداً في القرآن . وبه تعلم اتجاه ما استحسنته ابن كثير رحمه الله من تفسير آية (الأنبياء) هذه بآية (الأحقاف) المذكورة كما بينا . .

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة : فَإِنْ قُلْتَ : أَي فائدة في قوله { زَأْتِي
الْأَرْضَ } ؟ قلت : فيه تصوير ما كان ا يجريه على أيدي المسلمين ، وأن عساكرهم
وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين ، وتأتيها غالبية عليها ناقصة من أطرافها (ا ه منه)
 . وإِجل وعلا أعلم . قوله تعالى : { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِّلْيَوْمِ
الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ شَيْئاً } وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية
الكريمة : أنه يضع الموازين القسط ليوم القيامة . فتوزن أعمالهم وزناً في غاية العدالة
والإنصاف : فلا يظلم ا أحداً شيئاً ، وأن عمله من الخير والشر ، وإن كان في غاية القلة
والدقة كمثقال حبة من خردل ، فإن ا يأتي به . لأنه لا يخفى عليه شيء وكفى به جل وعلا
حاسباً . لأحاطة علمه بكل شيء . .

وبين في غير هذا الموضع : أن الموازين عند ذلك الوزن منها ما يخف ، ومنها ما يثقل .
وأن من خفت موازينه هلك ، ومن ثقلت موازينه نجا . كقوله تعالى : { وَالْوَزْنُ